

آدم أبو البشر

أولاً: مقدمة

اشتعلت بدعة د. عبد الصبور من جديد، وعدنا إلى أصحاب نظرية النشوء والارتقاء، بعد أن هجرها أصحابها لثبوت بطلانها، وتلخص بدعته في ملاحظته لكلمتي البشر والإنسان في القرآن الكريم، فقد تبين له أن البشر خلقهم الله من طين، ولم ينسب إليهم أي تكليف، وأن الله تعالى يستخدم لفظة الإنسان دائماً على أساس أنه خلق مكلف، عاقل، فبدأ رحلته في البحث أوصلته إلى نظرية جديدة، مفادها: أن البشر أمة متخلفة، وقوم همج خلقهم الله من طين فعلا، ولم يزودهم بالعقل، ولما تناسلوا من أب وأم شأنهم كشأن كل الأمم الأخرى من الحيوانات، وعاشوا على الأرض تسعة ملايين سنة، اصطفى الله منهم آدم وحواء، وسواهما ونفخ فيهما من روحه، فنبدل حالهما وأصبحا نوعاً أرقى، وأنها أصل الإنسان، فإذا قال لنا آدم من طين صح قوله على اعتبار الرجوع إلى أصله الأول، وإذا قال قوله أن له أبا وأما كان صواباً باعتباره من نسل البشر، إلا أنهما تلقيا عن ربهما التكليف بالخلافة، وعلمهما الأسماء كلها، وأسجد لهما ملائكته، وأدخلهما الجنة وأن الجنة على الأرض وليست في الملأ الأعلى، فأكلا من الشجرة، فأمر بهما فطردا من تلكا الحديقة أو البستان، ليمارسا حياتهما وخلافتهما على الأرض، وغاية مراد د. عبد الصبور هو إثبات صحة قول علماء الغرب المؤيدين لنظرية الارتقاء، ويحاول أن يغلف أفكارهم بزي إسلامي، وأجاب د. زغلول النجار في إحدى القنوات الفضائية ما أجزه في قوله: إن كتاب د. شاهين لا يضيف أي فائدة شرعية، أو علمية، أو حتى أدبية، وأنه يعتمد على معلومات غير موثقة علمياً، وأغلبها خيال علمي ينافي الحقائق الثابتة، وقد سبق للدكتور/ المطعني أن رد على ما أثارته زوبعة د. شاهين، منذ ثلاث سنوات تقريباً، ويومها وصف فعلته أنها بين جنوح الشاعر، وتأويلاته الفاسدة، وقد لاحظنا أن الموضوع لم يحسم، فكانت لنا هذه الدفوع، التي تحسم القضية بتوفيق الله تعالى.

ثانياً: أساسيات قبل الحوار

يجب قبل أن نتعرض لآراء د. عبد الصبور أن نتفهم الأسلوب القرآني في بيان الحقائق، وإبلاغها للعالمين، وهذا الأسلوب يدركه المؤمن من خلال تدبره للآيات القرآنية وستها في البلاغ، وكيف يسرد الحقائق ويجليها في بساطة وسلاسة، ويمكن أن نطلق على هذا الأسلوب: التكرار والتأكيد:

- لن تجد في القرآن الكريم حقيقة أصيلة يمر عليها مرور الكرام، أو يخفيها بين تأويلات نحوية، أو بلاغة لا يدركها سوى خبير في اللغة، أو ضليع في الفلسفة، أو مستغرق في الدروشة، وإليك الدليل على ذلك، حقيقة أن الشمس ضياء، وأن القمر نور، وحقيقة كروية الأرض، وحقيقة دور الجبال في اتزان الأرض، وحقيقة المسار البيضاوي في الفضاء وهو ما يعرف بالأفلاك، يكرر القرآن حقائقها في وضوح لا لبس فيه في العديد من المناسبات، وهذا الأسلوب أيضاً يستخدمه القرآن في الحقائق الإيمانية: فالإيمان بالجنة والنار والبعث والنشور،،،، وأيضاً حقيقة تيسير القرآن للذكر التي وردت بنفس ألفاظها في أربعة مواضع، وأحياناً تتكرر الآيات أكثر من ثلاثين مرة كما في سورة الرحمن في قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، وهذا الأسلوب استعمله النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً حين كان يكرر قوله ثلاث مرات، حتى ترسخ معانيه وتأكد، وأحياناً يظل يكرر حديثه حتى نقول لبيته سكت كما في تحذيره من خطورة شهادة الزور. وإذا طبقنا هذا النهج القرآني على فكر د. شاهين نجده قد جنح عن النص الواضح الجلي لآيات القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة؟ إلى أفكار المستشرقين، فعندما يكرر القرآن مراحل خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من صلصال من حماً مسنون، وعلمنا مراحل خلق الجنين من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام،،،، لا يتدبر د. عبد الصبور شاهين ذلك بل يقاد إلى أقوال المستشرقين وعلماء التطور ويقتبس منهم أن آباء آدم وأجداده قد عاشوا على الأرض تسعة ملايين سنة، أفلا تستحق تلك الملايين التسعة التي عاشها أجداد آدم حسب زعمه في ضلال وجهل وهمجية إلى كلمة أو اثنتين ضمن مراحل الخلق التي تكررت في القرآن وتأكدت بشكل واضح! لا شك أن هذا يناقض الفهم السوي للأسلوب الرباني في القرآن.
- إن الهدى النبوي في السنة المطهرة لا ينهل منه إلا من أحب النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجد الهدى إلا في اتباعه، وعاش حياته بين مصادر السنة، حتى ينضر الله وجهه بسماعها وحفظها وتعليمها، أما أن من يعرض عنها، ولا يتلمذ إلا على يدي مفكري الغرب وعلمائهم ذوي الميول المعادية لحقائق الإيمان، تجد بضاعته في الحديث مزجاء، فلا يعرف الصحيح من السقيم، وتجد لديه جرأة غريبة على النبي صلى الله عليه وسلم وسنته المطهرة، وإذا سبق له الحديث الصحيح في البخاري ومسلم، كذبه وقال إسرائيليات، وهو يريد أن ينزه الفكر الإسلامي مما لحق به من الإسرائيليات، وحين يريد أن يكسو أفكاره بثياب السنة، يستدل بالحديث المكذوب أو الضعيف.
- إن جميع الشطحات التي أخرجت أصحابها من الملة، أو حادت بهم عن جادة الطريق تأتي من أناس يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون لك: لاحظ الفاء هنا، وثم هناك،،،، ثم يستخرجون معاني وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، ولو أن ما يريدون الوصول إليه من الدين حقا لنصت عليه الآيات المحكمات، ولأدركته الأحاديث البيّنات، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وللناس أن تنتظر وتتأمل وتعمل الفكر فيما قرره الشرع، ولها أن تكف حين تكلف بالتوقف وعدم الخوض، ومن خاض فيما لن يدركه، سيكون حظه إدراك الخسران والبوار، وهذه مقدمة لازمة بين يدي الموضوع، وضرورة لكل من يدافع عن هذا الدين أن يدركها ويحتمي بها، فيأثر ما أثاره د. شاهين أيوصل إلى فهم أم إلى خسران؟
- من علامات الخسران أن يحدث الرجل قومه بما لم يسمعوا به من قبل، فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " سيكون في آخر أمتي أناس، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آبؤكم، فيأبؤكم وإياهم " (١) هذه هي السقطة الثانية للرجل.

ثالثاً: حرية الفكر في دائرة المحذور

كثير من المثقفين العرب والمستشرقين من وراءهم، يرى أن الفكر الإسلامي مقيد، وأن دوره هو الإسهام في تحرير هذا الفكر من الجمود الذي لحق به من جراء قرون تخلف المسلمين، وهبوط مستوى علمائهم. وهذه مقولة حق أريد بها باطل، نعم نحن نطالب بتحرير الفكر الإسلامي، ولكن ليس بتأباع فكر

الاستشراق، والدهشة والإنبهار بالفكر الغربي، وإنما نحن نطالب بتحريير الفكر الإسلامي من التقليد الأعمى لأقوال الرجال، والعودة بهم إلى اتساع مناهل الكتاب والسنة، فقد أصبح اليوم عارا على المسلم أن يترك اتباع نبيه صلوات الله وسلامه عليه ثم يقلد إماما أو شيخا أو وليا أو فقيها أو بابا، خاصة بعد أن انتشرت بتوفيق الله تعالى مناهل العلوم الإسلامية، بفضل جهود خدمتها وتطويع التقنيات الحديثة لهذا الغرض.

إن حرص المثقفين الماديين ومن ورائهم من المستشرقين في الخوض في الدوائر التي نهتنا النصوص القرآنية والسنة النبوية عن الخوض فيها، مثل: التفكير في ذات الله تعالى، وخلق الإنسان، والتي يحذرنا الحق تبارك وتعالى في سورة الكهف بقوله: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُخْلِذِينَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا) ، وتؤكد هذه الآية على عجز الناس أجمعين عن الخوض في مراحل خلق السموات والأرض، ومرآح خلق أنفسهم، وهذا يشمل خلق آدم أول البشر، وأن الله تبارك وتعالى غني عن اتخاذ البشر مساعدين له في بيان ما لم يشهده أصلا، وأن أي محاولة في معرفة هذه المراحل ستأتي من ضالين ومضلين، وما كان الحق تبارك وتعالى ليتخذ المضلين عوناً وعصداً، وهذه هي السنة الإلهية المسطورة في القرآن الكريم. ولو أراد أن يطلعنا جل شأنه على تلك المراحل لفعل، وما كان له تبارك وتعالى أن يتركنا نتلقى كيف خلقنا عن د. شاهين؟ وهذه هي السقطة الثالثة للدكتور عبد الصبور شاهين.

رابعاً: النتائج المترتبة على مزاعم الدكتور شاهين

- تفسير د. عبد الصبور ينقلنا من معجزة خلق الخليفة آدم من تراب، وإسجاد الملائكة له، إلى تكليف جنس من الرعاع والهمج أطلق عليهم اسم البشر مخلوقين من تراب، أمضوا حياتهم قبائل متخلفة، مدة من الزمان يتناسلون كالبهائم، ثم يختار منهم آدم وحواء، ثم يصطفيهم بالتسوية والخلافة. وهذا هي السقطة الرابعة له، فما الداعي لذلك، أشكا في قدرة الله تعالى أن يتم الأمر على مرحلة واحدة، فجعلها الدكتور على مرحلتين، ألا تحقق له كن فيكون الأمر كله في لحظة، أم يحتاج الأمر إلى تسعة ملايين سنة، مهمله لا يذكرها القرآن الكريم بكلمة واحدة.
- يزعم د. شاهين أن آدم نفخت فيه الروح مرتين، مرة عندما ولد كبشر متخلف، ومرة عندما اصطفاه الله للخلافة، ولا دليل له في هذا الافتراء، ولهذا اضطر إلى تفسير النفخة الثانية بعد التسوية بأنها العقل، ولما خشي أن يقال له إن كل الأمم عندها عقل وفطرة تناسب حياتها، جعل النفخة الثانية: التكليف الشرعية،،،،
- إن مزاعم د. شاهين تسخر من وعد الله للملائكة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة- ٣٠]، فكيف يخلق البشر همج رعاع، ثم تستمر حياتهم وتناسلهم حقبا، بقدرها د. شاهين بتسعة ملايين سنة، ثم يتحقق هذا الوعد بإعادة نفخ روح التكليف في أحد بني البشر، فنقله إلى مقام الخليفة. فهل من المعقول أن تكلف الملائكة بأمر السجود لآدم، المخلوق من بشر يعيشون رعا تسعة ملايين سنة، ثم يحين أوان السجود.
- كيف يتحقق الأمر بسجود الملائكة لآدم بعد تحوله إلى إنسان، بعد تسعة ملايين سنة، ولو كانت مزاعم الدكتور صحيحة لنسب أن يكون دفاع إبليس عن تخلفه عن السجود مخالفا لقوله سبحانه: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ، فَسَجَدُوا، إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ: أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) [الإسراء- ٦١]، ولكن الأولى أن يقول: أسجد لواحد من جنس متخلف.
- لم يبرر د. شاهين ما سبب فناء قوم آدم وحواء: أعمامهما، وأخوالهما، ووالديهما، وإخوتها، وكل بني البشر، إن في وفاتهم أيسر مخرج للدكتور على شطحاته، فأى رواي لا يجد أمامه سوى القضاء على بعض شخصيات رواياته ليستمر في حيكته الدرامية كما يقولون. وتعميقنا أننا خسرنا - لو صدقت مزاعمه - دليلا ماديا عظيما على النقلة النوعية التي حدثت لآدم وحواء، خاصة إذا بقيا على صلة جديدة للرحم بين الإنسان وأقاربه من الهمج والرعا! أيعيش البشر ملايين السنين حسب تقدير د. شاهين، ثم تختفي أعيانهم بموتهم، ثم تختفي آثارهم أيضا، فلا نعثر على دليل مادي واحد عن وجودهم المختلق!
- ماذا يضير د. شاهين أن يكون آدم مخلوق من طين ثم يتلقى الخلافة والتكليف مباشرة؟ أيعجز الله عن ذلك؟ ثم إذا كان خلق آدم بصورة الخلافة يحتاج إلى وساطة قوم همج، فما بالك بخلق الملائكة؟ ألا يحتاجون إلى مراحل متعددة قبل أن يصلوا إلى ما هم عليه من النقاء والطاعة والإخبات لله تعالى؟ وأين وسائط خلق الجن، وهم شقائق الإنس في التكليف، لا بد أن د. شاهين ينتظر أن يظهر داروين جديد يقول بارتقاء الجن أيضا حتى يطلع علينا بتأويل جديد يستكمل به الموضوع!
- تكذيب القرآن لأفكار د. شاهين، فالمخلوق بيد الله تعالى هو آدم، وليس جد البشر الذي من نسله كلف آدم، يقول سبحانه رافضا استكبار إبليس بالسجود لآدم: (مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي) [سورة ص- ٧٥]، أما د. شاهين يجعل ما خلقه الله بيديه قوم متخلفون.
- لم يفسر لنا د. شاهين لماذا اكتفى الحق تبارك وتعالى بتكليف آدم وحواء من بين ملايين البشر، ثم يهلك بقيتهم، لماذا لم يسوي جموع البشر مرة واحدة، أو يختار منهم ألفا أو سبعين أو سبعة لماذا رجل واحد وامرأة واحد؟ ما الحكمة؟ إن عمارة الأرض تستوجب تسوية عدد أكبر، فهذا يجعل المكلفين ينتشرون في الأفق، وكلا منهم يؤسس حضارة تتنافس فيما بينها في طاعة الله تعالى وعمارة الأرض؟ إذا كان الأمر إعمال العقل، فما نقوله أولى، أما اضطرار د. شاهين إلى تكليف فرد وفناء أمة، كان لازما حتى يرجع للسباق القرآني في سجود الملائكة لشخص آدم عليه السلام.

خامساً: ضرب السنة بدعوى حمايتها من الإسرائيليات

إن ما توصل إليه د. شاهين في بحثه هذا يعد أوضح مثال لنتائج أبحاث الذين لا يكتفون بالقرآن الكريم، ويرفضون السنة، بدعوى عدم ثبوتها وحرصهم وحذرهم أن تكون من الإسرائيليات، وهم بهذا يفرقون بين الله ورسوله المبلغ عنه، فاستهانتهم بالسنة النبوية وجهلهم بها، جرأتهم على اتهام ما هو ثابت فيها بأنه إسرائيلي، فالدكتور يعلن أن هدف بحثه هو سعيه للدعوى لتنتيق الفكر الإسلامي مما علق بها من أباطيل بين ثنايا الإسرائيليات.

- تعريف الإسرائيليات: هي كل ما هو منسوب إلى بني إسرائيل سواء ورد في العهد القديم أو في تراث بني إسرائيل.
- موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الإسرائيليات: نهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من قراءة التوراة كعبادة، ولذلك أخبر أصحابه أن موسى عليه السلام، وفي رواية أخرى أن يوسف عليه السلام لو كان في زمنه ما وسعه إلى أن يتبعه، ويكون من المسلمين.

- موقف النبي صلى الله عليه وسلم من نقل أخبار بني إسرائيل: أكدت السنة على رسوخ قدم الإسلام وأنه أثبت من أن يهتز لخبر هنا أو هناك، ولذلك ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، بل إنه صلى الله عليه وسلم استمع إلى أخبار اليهود حين قالوا: إن الله يضع الأرض على إصبع، والسموات على إصبع،،،، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، وعقب على اعتقادهم هذا بقول الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر-٦٧]، لقد نقلت لنا السنة مستوى معرفة بني إسرائيل عن ربهم، لنزداد رسوخا في عقيدتنا، ونذكر سمو الفكر الإسلامي. والخطأ أن يعتقد البعض أن السنة تخوفنا من رواية الإسرائيليات فهذا خلط ناتج عن سوء الفهم في الكتاب والسنة.
- قصة خلق آدم في العهد القديم: ومن الغريب أن قصة خلق آدم في العهد القديم لم تتطرق على الإطلاق لتعليم آدم الأسماء، ولا أمر سجود الملائكة له، ولا امتناع إبليس عن السجود لآدم، ولا طرد إبليس من رحمة الله، ولا عداوة إبليس لآدم وذريته، فأركان القصة القرآنية لخلق آدم لا تتدخل فيها الإسرائيليات.

خامسا: استدلال د. عبد الصبور بأوهى أحاديث السنة

والأغرب أن د. شاهين حين يريد أن يسوق سببا لتفسيراته، فأول شيء يفعله أن يلجأ إلى الأحاديث الموضوعية وهي أوهى من الإسرائيليات، فهو يستدل قائلا: وفي الحديث القدسي: كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق في عر فوني، وأهل العلم بالسنة يقولون هذا قول موضوع لا أصل له.

سادسا: تصحيح مفاهيم الدكتور عبد الصبور عن السنة المطهرة

- عندما يساق إليه الصحيح من البخاري ومسلم يقول تلك إسرائيلييات، وتصرفه هذا أصابنا بالحيرة في أمره: حتى أننا لم نعد نعرف أنغلب جرأته على السنة، على جهله بها؟ أم ترى تسليمه التام لأفكار التطور والارتقاء، غلب على مكانة السنة عنده؟ فلو أنه رجع إلى السنة لأدرك حجم الخطأ الذي وقع فيه بزعمه أن آدم ابن البشر:
- طعنه في شرف نسب النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله: مناقضا بذلك الصحيح من حديث علي بن أبي طالب، وعائشة، والسائب بن يزيد الكندي، وأنس بن مالك، وابن عباس، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ، ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، ولم يصنني من عهر الجاهلية، وخرجت من خيركم نفسا، وخيركم أبا ، ، والحديث يؤكد طهر نسب أجداد النبي وأولهم آدم، بينما د. شاهين يزعم أن آدم ولد من سفاح الجاهلية، من أقوام أشبه بالبهائم، وهذا طعن في شرف آدم، ونسب جميع الأنبياء، وخاتمهم المصطفى صلى الله عليه وسلم
- طعنه في حديث الشفاعة الصحيح والذي أجاب الإجابة الشافية لمزاعم د. شاهين، فقد روى البخاري بسنده في صحيحه عن النبي أن بعض الناس يقولون يوم القيامة بعد أن اشتد الموقف: ، أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا؟ - وحقائق الحديث جلية، فأدم أبو البشر، وقد أبدلها د. شاهين إلى آدم ابن البشر، أن الله خلق آدم بيده مؤكدا نفس الحقيقة القرآنية، وليس الأمر خلقا مجازيا، يقول البوصيري
- قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
- أن نفخ الروح في آدم كان بعد أن سواه الله تعالى من طين، يروي أبو هريرة: ، كان أول ما جرى فيه الروح من آدم بصرة وخياشيمه، فلما جرى منه في جسده كله عطس، فلقاه الله حمده، فحمد ربه، فقال الله له: رحمك الله، ثم قال الله له: اذهب يا آدم إلى أولئك الملا فقل لهم سلام عليكم، فانظر ماذا يردون عليك، ففعل ثم رجع إلى الجبار، فقال الله له وهو أعلم: ماذا قالوا لك؟ فقال: قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، فقال له: هذا يا آدم تحينك، وتحية ذريتك - (٢)
- حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: ، إن الله عز وجل دم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جعل منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبيّن ذلك، والسهل والحزن، وبيّن ذلك، والخبيث والطيب، وبيّن ذلك - (٣) ، وللحديث شاهد لابن عباس رضي الله عنهما(٤)، وقد ورد هذا الحديث في [٢٣] موضع في أبرز مصادر الحديث الشريف، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وسنعرض إسنادا واحدا لحديث واحد للتعرف على مراتب الجرح والتعديل لرواته، وليكن حديث الترمذي، وله أربع طرق نكتفي منها بدراسة إسناد طريق واحد حتى لا نطيل على القارئ الكريم، وسلسلة إسناد هذا الطريق هو: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
- فشيخ الترمذي في الحديث هو محمد بن بشار، وهو من رجال البخاري ومسلم، وثقه الإمام مسلم، والعجلي، وعبد الله بن سيار، وقال عنه ابن خزيمة: إمام أهل زمانه، وقال عنه الدارقطني: من الحفاظ الأثبات.
- الراوي الثاني: هو يحيى بن سعيد القطان، وهو ثقة متقن حافظ قدير، كما قال: ابن حجر العسقلاني، وقال عنه الأئمة: أبو زرعة الرازي: من الثقات الحفاظ، وأبو حاتم الرازي، قال: حجة حافظ، وقال عنه عبد الرحمن بن مهدي: لا ترى عينك مثله، وعلي بن المديني قال: ما رأيت أعلم بالرجال منه، وما رأيت أثبت منه، وقال عنه أحمد بن حنبل: الرجل الثقة: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، عالم بالفرائض، صالح الفقه، ولا يقاس به في العلم أحد، ولم نر مثله في كل أحواله، وقال عنه أبو يعلى الخليلي: إمام بلا مدافعة، احتج به الأئمة كلهم، وقالوا من تركه القطان تركناه، وقال عنه ابن سعد: ثقة مأمون رفيع حجة.
- أما الراوي الثالث فهو عوف بن أبي جميلة: فقد وثقه ابن سعد، وأحمد بن حنبل، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: ثقة ثبت، ووثقه يحيى بن معين، وقال عنه أبو حاتم الرازي: صدوق صالح.
- أما الراوي الرابع الذي نقل الحديث عن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري فهو قسامة بن زهير: فقد وثقه العجلي، وابن حبان، وابن سعد، والذهبي، وابن حجر العسقلاني.

- إن دراسة إسناد هذا الطريق وحده تؤكد أن رجاله ثقافتهم، وفيهم أئمة من أئمة الحديث، ومراتبهم في أعلى درجات التوثيق، فلا عجب أن يصحح الترمذي الحديث، إن جهل د. شاهين بوزن رواية طريق واحد من بين أكثر من ثلاثين طريقاً للحديث، يسلمه لقول داروين وأتباعه، ورفضه لصحة الحديث الذي نص عليه الترمذي، وإذا تركنا له أن يتجاهل مثل هؤلاء الرواة فكيف نحافظ على السنة من جرأة المغرضين، كل ذلك يدعونا إلى البحث عن السبب وراء إصراره على إحداث هذه البلبلة، التي نسف بها صورته كرجل خدم اللغة العربية ودرسها عقوداً عديدة!

سابعا: القول الفصل في القضية

أن د. شاهين رغم أنه يقول إنه يفكر في هذه القضية منذ سنة ٦٧، إلا أن رغبته في شق جمع المسلمين لم تترك له مجالاً ليقرأ القرآن مرة واحدة قراءة متأنية متأمله راجياً من الله أن يهديه إلى الحق، ولو أنه فعل: لقرأ قوله سبحانه:

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف-٣١]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [المائدة-١٨]

صدق الله العظيم، والقرآن هنا يؤكد أن البشر هم المكلفون وليس من اصطفاهم الله منهم، وأن البشر ليسوا قوماً رعا وعاج وهمج، فيوسف على جماله لم يوصف بأنه إنسان في هذا الموضوع، بل بشر كأنه ملك من كرام الملائكة، وهذا يؤكد ميل د. شاهين لهواه في المسألة، وإن النتائج التي جناها د. شاهين من أفكاره هي: إنكاره لآيات جلية في القرآن الكريم، إعراضه عن السنة الصحيحة المؤكدة، ورفضه للصحيح الثابت من أحاديث روتها صفة من الثقات الأثبات، خوضه في نسب الأنبياء، حين وصم آدم بأنه ابن قوم لا يعرفون النكاح، وإني والله أستحيي أن أصف مضمون قوله أن آدم ابن زنا، والعياذ بالله، ومن ثم الطعن في نسب كل الأنبياء، كما أنه أسمع الناس ما لم يسمعه هم ولا آبائهم، لقد عزل نفسه بهذا الباطل، دون أي طائل من ورائه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم "فياكم وإياهم".

ثامنا: موضع الزلل في فكر الدكتور شاهين

لقد انبهر الرجل بأبحاث الجيولوجيين، وعلماء الآثار وخلق الإنسان، والجمام التي حصلوا عليها، والعظام التي وجدوها وأثبتوا من خلالها وجود كائن يمشي منتصباً على قدمين كهيئة سير الإنسان، وذلك خلال مئات الألوف من السنين، وقولهم أن هذا الكائن هو الأصل الذي تطور مع الوقت ليصبح الإنسان الحالي، وأن تطور عقل هذا الكيان، وتحول الحمض النووي له هو الذي طور هذا المخلوق ليصبح الإنسان الحالي، فحاول الرجل أن يجمع بين الأمرين، فيصبح أول من يكسو هذه الأبحاث العلمية بالثياب الإسلامية، ولو تمسك الرجل بكتاب ربه، وسنة نبيه قدر تمسكه بتلك الأبحاث لوصل إلى نتيجة أخرى أكثر منطقية، ولما احتاج أن يدخلنا معه في دوامة لا طائل من ورائها.

إن شغف الدكتور بمحاولته الفاشلة للجمع بين الأبحاث العلمية، وبين ما ساقه الإسلام، هو موضع الزلل الحقيقي له، وهذا ما يدعونا لعرض محاولة أخرى للجمع بينهما، ومضمون هذا الجمع هو أن كائنا عاش على ظهر الأرض مئات الألوف من السنين، والمسلم أيضاً يجد في الأبحاث التي تتناول عمر الأرض الممتد إلى ملايين السنين، حين يقرأ في التوراة أو يقرأ في التاريخ يجدهما يقدران حياة الإنسان ببضع ألوف من السنين فقط، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين، والجواب الشافي على ذلك هو أن تقدير العلماء عمر الأرض، لا علاقة له بخلق الإنسان في الملأ الأعلى، فليضع العلماء ما يشاءون من تقديرات وليعلموا ما شاء لهم من نتائج، فهذا أمر لا دخل له بصدق القرآن والسنة، فانه تبارك وتعالى بدأ خلق الإنسان وصوره من طين، ثم من صلصال ثم من حمأ مسنون، ،،، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم أسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، ثم جعله خليفة في الأرض، ولا يضير آدم عليه السلام أن يكون على الأرض أي عدد من الدواب والأنعام، سار منهم من يمشي على بطنه أو سار على اثنين أو أربع، فالحق تبارك وتعالى يقول: والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجله، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء.

تاسعا: الخاتمة

نختم قولنا في هذا الموضوع بتحذير النبي صلى الله عليه وسلم لأمته من زلة العالم حيث يقول: "اتقوا زلة العالم، وانتظروا فينته" وقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم زلة، ووصف صاحبها بالعالم لسبب واحد، هو حبه للحق الذي سبقه إلى الرجوع عن تلك الزلة، فالعالم الحقيقي لا يجد غضاضة في الاعتراف بالخطأ، فيسارع إلى الحق، فعمد يقر بخطأه على المنبر ويصح قول امرأة، أما أهل الكبر فالإصرار على الخطأ، يسجنهم في غياهب الأنا حتى نهاية المطاف، فما عاد آدم إلى الرضوان إلا بالاستغفار، وما طرد إبليس إلا بالكبر والإصرار، نسال الله السلامة والغفران، فنحن نأمل في رجوعه عما سلف، فحزننا كبير أن يضيع الشيخ ما جناه في حياته من سمعة طيبة بهذه الكبوّة الطارئة، والله يهدينا سواء السبيل.

- رواه مسلم في الصحيح، وأحمد في مسنده، والبدع لابن وضاح، والبيهقي في دلائل النبوة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والحاكم في المستدرک، وفي معرفة علوم الحديث.
- وهو حديث أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، وابن سعد في طبقاته، وابن حجر في المطالب العالیه، رواه اثنان من الحفاظ هما: عبد الله بن المبارك، وعمرو بن محمد بن بكير، عن إسماعيل بن رافع وهو ضعيف الحفظ، عن سعيد المقبري وهو ثقة عن أبي هريرة مرفوعاً.
- حديث أبي موسى الأشعري أخرجه ابن حبان في صحيحه، ، وأبو داود في سننه، والبيهقي في سننه الكبرى وفي موضعين من كتابه الأسماء والصفات، وابن بطة في الإبانة الكبرى، أخرجه الترمذي، وأبو داود، وأحمد بن حنبل في موضعين من مسنده، وعبد بن حميد في مسنده، والبخاري في البحر الزخار ، والرويات في مسنده، ومعجم الصحابة لابن قانع، وابن خزيمة في موضعين من كتابه التوحيد، وأبو الشيخ في العظمة ، والطبري في جامع البيان في تفسير القرآن، وأبو نعيم في موضعين من حلية الأولياء، وفي معجم الصحابة أيضاً، وابن سعد في طبقاته الكبرى، والخطابي في العزلة، والترمذي في سننه.

- حديث عبد الله بن عباس أخرجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية .

